بيْت العنكبوت

قدم له

فضيلة الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

تأليف

أبي المنذر

خليل بن إبراهيم أمين

ⓒ خليل بن إبراهيم أمين ؛ ١٤٢٣ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
أمين، خليل بن إبراهيم
بيت العنكبوت - الرياض
٨٨ ص ؛ ٢١ سم
ردمك : ٣ - ٨٢٤ - ٤١ - ٩٩٦٠
١ - التوحيد. أ. العنوان
ديوي ٢٤٠ ٢٣/٣٤٤٤٠

رقم الإيداع : ٢٣/٣٤٤٠
ردمك : ٣ - ٨٢٤ - ٤١ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

تقديم

الحمد لله وحده - وبعد: فقد اطلعت على كتاب بعنوان: (**بيت العنكبوت**) فيه التحذير من الشرك. ورد شبه المشركين. وبيان وجه الشبه في تشبيه المشرك بالعنكبوت في اتخاذها البيت الواهي الذي لا يقيها من حر ولا برد ولا يدفع عنها عدواً.

فوجدت هذا الكتاب والحمد لله كتاباً جيداً في موضوعه واضحاً في أسلوبه قوياً في حججه وأسأل الله أن ينفع به ويثيب مؤلفه بجزيل الثواب.

وصلى الله على نبينا محمد واله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

بالمملكة العربية السعودية

في ١٤٢٣/١١/١٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة
البحوث العلمية والإفتاء

الرقم : ....
التاريخ : ....
المشفوعات : ....
الموضوع : ....

الحمد لله وحده - وبعد : فقد اطلعت على كتاب بعنوان : (بيت العنكبوت)
فيه التحذير من الشرك . ورد شبه المشركين . وبيان وجه
الشبه في تشبيه المشرك بالعنكبوت في اتخاذها البيت
الواهي الذي لا يقيها من حر ولا برد ولا يدفع عنها عدوا
فوجدت هذا الكتاب والحمد لله كتابا جيدا في موضوعه
واضحا في أسلوبه قويا في حججه وأسأل الله أن ينفع به
ويثيب مؤلفه بجزيل الثواب

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء
بالمملكة العربية السعودية

في ١٤٢٢/١١/١٢هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لمن هذه الرسالة ؟

الحمدُ لله وحده، والصلاة والسلام على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين وبعد :

فإليكَ يا وليّ الله ...

أَهْدي كلماتي هذه، أَبُثُك فيها شوقاً وحنيناً إلى رؤياك وأتقرب إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ بمحبتك فيه، وأَضْرعُ إليه سبحانه ـ أن أدخل بهذه المحبة في قول النبي صلى الله علي وسلم : « إنَّ من عباد الله عِباداً ليسوا بأنبياء، يغْبطهم الأنبيا والشهداء، قيل : من هم لعلنا نحبهم ؟ قال : هم قو تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب، وجوههم نور على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنو إذا حزن الناس »[(١)].

---

(١) صحيح ابن حبان رقم (٥٧٣) ج (٢) ص (٢٣٢)، ومستدر الحاكم رقم (٧٣١٨) ج (٤) ص (١٨٨) وقال : صحيح الإسناد ومسند أبي يعلى رقم (٦١١٠) ج (١٠) ص (٤٩٥) وصحي إسناده حسين أسد .

وأَحْتَسِبُ على الله ـ تعالى ـ كل حرف أَخُطُّه إليك في هذه الرسالة، من غير سابق معرفة، ولا وشيجة قربى، ولا صلة رحم، فإنْ تناءت بنا الديار وبَعُدَ بيننا الدم؛ قَصَّر المسافات وَوَصل الدمَ بالدم قولُ الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[١] . كيف لا؟! وأنتَ الآمن السعيد في الدنيا والآخرة، بموعود الله لك، وهو الصادق الوعد سبحانه : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾[٢] .

وكيف لا ؟! ومن عاداك هو الخائب الخاسر؛ لأنه بارز الله تعالى بالمحاربة، والله ـ تبارك وتعالى ـ يقول في الحديث القدسي : « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب . . . »[٣] .

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٠ .

(٢) سورة يونس، الآيات ٦٢ ـ ٦٤ .

(٣) جزء من حديث طويل، انظر صحيح البخاري رقم (٦١٣٧) ج (٥) ص (٢٣٨٤) وصحيح ابن حبان رقم (٣٤٧) ج (٢) ص (٥٨)، ومسند أحمد رقم (٢٦٢٣٦) ج (٦) ص (٥٦)، ومسند أبي يعلى رقم (٧٠٨٧) ج (٢) ص (٥٢٠)، وسنن البيهقي وغيره .

قال ابن حجر رحمه الله : (قال الطوخي : لما كان ولي الله من تولى الله بالطاعة والتقوى تولاه الله بالحفظ والنصرة وقد أجرى الله بأن عدو العدو صديق، وصديق العدو عدو، فعدو ولي الله عدو الله، =

في لباسك . . .

غريبٌ في سعيك في الدنيا؛ لا تجزع من إدبارها، و
تنافس على إقبالها .

غريبٌ في سيرك ـ على الطريق ـ : لا تستوحش من قا
السالكين، ولا تغتر بكثرة المخالفين .

غريبٌ في ليْلك، وأنت تَحلُب أَشْطُره : ذكراً وتسبيح
وتهليلاً واستغفاراً وصلاةً دامع العين باكي القلب، تئن أنير
الثكلى، وتنتحب انتحاب المكلوم : ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِ
يُنَادِي لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّ
عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا
تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾(١) .

فهنيئاً لك ـ أيها المبارك ـ يوم تعلَّق قلبك بأُنس الخلو
مع الله، وقد تعلقت قلوب أكثر الخلق بالدنيا .

وهنيئاً لك، يوم وجدت لذتك في كلام الله، وقد بحثو
هم عن لذتهم في اللهو الباطل والغناء الآثم .

= بدع، داعٍ إلى الله ورسوله بين دعاة إلى الأهواء والبدع، آمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر بين قوم المعروف لديهم منكر والمنكر معروف) انظ مدارج السالكين ج (٣) من ص (١٩٤) إلى (٢٠٥) .

(١) سورة آل عمران، الآيتان ١٩٣، ١٩٤ .

وهنيئاً لك يوم طار قلبك شوقاً إلى الله وطمعاً في جنته، وقد ركضَتْ أكثر القلوب ـ إلا من رحم الله ـ طمعاً في اللقاء المحرم وزورة الوصل الكاذب .

أما في باب العقيدة والتوحيد وتجريد العبادة لله وحده، فلله درُّكَ من رجُلٍ، فقد رأى الجميع صبرك وجَلَدك وما بذلته في سبيل ذلك من مالك ووقتك من أجل الدعوة إليه بروح لا تعرف الكلل ولا الملل .

لم تُبال بما أصابك من هُزءٍ وأذىً وسوءِ أدبٍ، على أيدي طائفة الحُمر[١] المستنفِرة؛ لأنَّك تعلم أن هذا هو طريق الأنبياء والمرسلين من قبلك، من أول نوح ـ عليه السلام ـ وهو يقول لقومه : ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾[٢] إلى آخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والله ـ تبارك وتعالى ـ يأمره بأن يقول : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴾[٣] مروراً بهودٍ[٤]، وصالح[٥]،

---

١) أعني بهم أصحاب بيت العنكبوت .
٢) سورة المؤمنون، الآية ٢٣ .
٣) سورة الرعد، الآية ٣٦ .
٤) قول هود عليه السلام في سورة الأعراف، الآية ٦٥ .
٥) وقول صالح عليه السلام في سورة هود، الآية ٦١ .

وشُعيب[١] ـ عليهم ـ السلام، كلٌ يقول لقومه : ﴿ ٱعۡبُدُواْ
مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾، وإبراهيم ـ عليه ـ السلام ـ يتبرأ
عبادة قومه ويقول لهم : ﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾
ويوسف ـ عليه السلام ـ يقول : ﴿ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِ
وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ
عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[٣].

ولم يُفتَ من عضُدك ما نالك من إعراضٍ ونكو
وجفاء، لأنك تعلم أن هذا هو طريق المؤمنين، وأنه سب
أولياء الله الصالحين الذين سبقوك من قبل وأنه موصول
مؤمن آل فرعون وغلام الأخدود إلى أحمد بن حنبل وا
تيمية، وسيظل موصولاً[٤] إن شاء الله إلى أن يرث ا
الأرض ومن عليها .

تَهُونُ عليك كل مشقة، ويذهَبُ عنك كل أذىً، وتر

---

(١) وقول شعيب عليه السلام في سورة الأنعام، الآية ٥٩ .
(٢) سورة الزخرف، الآية ٢٦ .
(٣) سورة يوسف، الآية ٣٨ .
(٤) يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهر
على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » ا
صحيح مسلم رقم (١٩٢٠)، (١٩٢١)، (١٩٢٢)، (١٩٢٣
(١٠٣٧) وغيره .

ن كل جهد بذلته ما هو إلا إصبعٌ وضعتها في بحر الدعوة
زاخر، وأنت تقرأ قول الله ـ تبارك وتعالى ـ حكاية عن نبيه
ح عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ
عَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ
ٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ
نهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ
كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل
كُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ ﴾[1].

ولكأني بك ـ أيها الحبيب ـ تسترجع وتردد قول نبي الله
وح ـ عليه السلام ـ وهو ينادي بقومه : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ
قَارًا ﴾، ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ . . .

وتحدثك نفسك بأن تصيح بهم، أيها الناس :

- ما لكم لا ترجون لله وقاراً، وهو يخلقكم وتعبدون غيره !
- ما لكم لا ترجون لله وقاراً، وهو يرزقكم وتشكرون سواه !!
- ما لكم لا ترجون لله وقاراً، وخيره إليكم نازل وشركم إليه صاعد !!!

---

(١) سورة نوح، الآيات ٥ ـ ١٣ .

ثم يترقرق الدمع في عينيك وأنت تتخيل النهاية الألي
للمعركة الخالدة، والتي خرج منها عدو الله ـ الشيطان ـ وه
يأخذ معه جزأه المقسوم من إرثه المفروض ليلج بهم ـ عيا
بالله ـ في نار جهنم؛ تحقيقاً لوعده : ﴿ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِ
نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾[١]. ويعتصرك الألم وأنت تتذكر خطب
الشهيرة في دركات الجحيم، وهو يقول لهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّ
وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَ
إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَ
بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِ
قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[٢].

---

(١) سورة النساء، الآية ١١٨ .
وتأمل ما قبلها وما بعدها من آيات، من بدء قوله تعالى : ﴿ وَمَ
يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَ
وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ
إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِ
عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ
ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ
ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰ
إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ .
(٢) سورة إبراهيم، الآية ٢٢ .

وتنساب تلك الدموع تتقاطر على وجنتيك أسىً وحسرةً، شفقة عليهم من أن يؤول مآلهم إلى هذا المصير الأليم، لذي لا يجدون عنه ملجأً، ولا من دونه مُخلصاً .

- **سلواي إليك** قول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[١] .
- وسلواي فيك : إنَّكَ دخلت البيت الآمِنْ يومَ دخل أكثرهم بيتَ العنكبوت .

محبك في الله

---

١) سورة القصص، الآية ٥٦ .

بيت العنكبوت

قال تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[١].

عند تأويل هذه الآيات يقول أهل التفسير : (إنَّ هذا مثل ضربه الله ـ تعالى ـ لمن أشرك به باتخاذهم أولياء من دونه؛ سواءً من الجماد أو الحيوان أو النبات أو الأحياء أو الأموات، يدعونهم ويسألونهم قضاء الحاجات، ويرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسَّكون بهم عند الملمات والشدائد فَهُم في ذلك : كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً يحميها ويأويها وإن هذا البيت لا ينفعها بوجه من الوجوه، لا يقيها حرّاً ولا قراً، ولا مطراً، ولا يدفع عنها عدواً، ولا يغني عنها شيئاً. ثم توعد ـ سبحانه ـ من عَبدَ غيره بأنَّه يعلم ما هم عليه

---

(١) سورة العنكبوت، الآيات ٤١ ـ ٤٣ .

ن الأعمال، ويعلم ما يشركون به من الأنداد، وسيجزيهم عليه، إنه حكيم عليم)[١].

الإعجاز «العلمي»[٢] في بيت العنكبوت

وقد كنت قرأت بحثاً[٣] لأستاذ علم الحشرات ووقاية لنبات، بكلية الزراعة جامعة عين شمس، الدكتور/ البمبي، البحث تناول فيه حشرة العنكبوت، وطريقة حياتها، وكيفية نائها لبيتها، وأسلوبها في صيد فريستها، ثم تطرق البحث

---

١) انظر تفسير القرآن العظيم / لابن كثير، وفتح القدير / للشوكاني، وتيسير الكريم الرحمن، للسعدي، عند تفسير هذه الآيات من سورة العنكبوت بتصرف .

٢) **تعليق**: قال الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ :
لو قيل الإعجاز البحثي بدل العلمي ؛ لأن إعجاز القرآن من عدة وجوه :
١ - من جهة اللغة والأسلوب .
٢ - من جهة الإحاطة العلمية بما كان وما يكون .
٣ - من جهة الأحكام الشرعية .
٤ - من جهة الأحكام البشرية البحثية التي ليست عرضة للخطأ . أما الوجوه الأولى فلا يتطرق إليها الخطأ بوجه لأنه تنزيل من حكيم حميد .

٣) نشرته جريدة الأهرام القاهرية، في شهر رمضان المبارك، بتحقيق / مايسة عبدالرحمن، تحت عنوان (اليقين في عصر العلم) الحلقة (٣) .

إلى الإعجاز القرآني والذي ثبت علمياً حول هذه الآيات .

وقد استهل الدكتور بحثه بقول الله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾، فقال: ذَكَرَ الله ـ تبارك وتعالى ـ كلمة ﴿ ٱتَّخَذَتْ ﴾ وهي : فعل اتصل به تاء التأنيث للدلالة على المؤنث بعد كلمة ﴿ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ وهي: كلمة مذكرة.

مما يبدو معه بداهةً أن هناك ـ عياذاً بالله ـ خطأً لُغوياً في الآية .

يقول الدكتور : لو صَحَت[1] لُغوّياً لكان خطأً علميّاً، وهذا لا يمكن أن يصدر من خالق العنكبوت، وخالق الكون كله . . .

فمن خلال الدراسات المستفيضة في علم الحشرات، وعن طبيعة حشرة العنكبوت اتضحت لنا الحقائق التالية :

---

(١) اختلف أهل اللغة حول كلمة العنكبوت، فذهب بعضهم إلى تذكيرها، وبعضهم إلى تأنيثها، قال ابن منظور : العنكب جنس العنكبوت، وهو يُذكّر ويؤنث، نقل القرطبي عن الفراء : تذكيرها، واستشهد لذلك بقول بعض العرب :

على هطالهم منهم بيوت
كأن العنكبوت هو ابتناها

انظر لسان العرب / ابن منظور ج (١) ص (٦٣٢)، وتفسير القرطبي ج (١٣) ص (٣٠٦) .

الحقيقة الأولى :

أن ذكر العنكبوت لا يستطيع أن يبني بيتاً، وأن التي تقوم ببناء البيت هي أنثى العنكبوت فقط، من خلال مغزلٍ خاص موجود في نهاية بطنها، ولا يوجد مثله عند الذكر .

الحقيقة الثانية :

لا تبدأ الأنثى في بناء هذا البيت إلا حينما تصل إلى مرحلة البلوغ والاستعداد للزواج، فتقوم عند ذلك ببناء بيتها والذي يكون عامل جذب قوي للذكر غير القادر على البناء بطبيعة خلقته .

الحقيقة الثالثة :

تقوم الأنثى ببناء بيتها بخيوط منسوجة بتداخلات فنية وهندسية خاصة، بحيث تكون شديدة الحساسية لأية اهتزازات خارجية، وهذه الخيوط مشبعة بمادة لزجة (صمغية) تلتصق بها أية حشرة بمجرد مرورها عليها، أو الاقتراب منها، وهذه الخيوط تقوم بتكبيل الحشرة، حتى تأتي أنثى العنكبوت فتفترسها .

الحقيقة الرابعة :

بعد أن تتم مرحلة التزاوج، وينتهي الذكر من تلقيح الأنثى، تذهب الأنثى إلى مكان بعيد آمن حيث تضع بيضها،

وبينما الذكر في بيته يشعر بالأمان إذا بالأنثى تنقض عل
فتأكله، وهذا الأكل لا بد أن يتم، حيث إن أنسجة الذ
مهمة في عملية إنضاج البيض[١].

وبهذه الحقائق التي استخلصها الباحث من بحثه تتض
لنا الأمور التالية :

أولاً : بيت العنكبوت هو أوهن البيوت على الإطلاق من حيث بنائه ودقة خيوطه، التي لا تقي حرّاً ولا قرّاً و تدفع عن ساكنه عدواً، كما قال أهل التأويل رحمهم الله .

ثانياً : على الرغم من أن بيت العنكبوت هو أوه البيوت على الإطلاق إلا أنه لا يعدو كونه فخّاً وشَرَكاً منصو لأية دويبة أو حشرة تقترب منه أو تمر عليه .

ثالثاً : لا يقتصر وهن بيت العنكبوت على الوهن الحس الظاهر في بنائه فقط، بل إن هناك وهناً معنوياً آخر، حي بدا هذا البيت لذكر العنكبوت أماناً كاذباً، وقد كان مصر حيث ظن هذا الأمان .

وإذا أردنا أن نقف على وجه الشبه كاملاً بين بي العنكبوت وطائفةٍ ممن اتخذوا من دون الله أولياء، فلن نج

---

(١) التنسيق على هيئة حقائق ليس في صلب البحث .

جلى وأظهر من طائفة عُبَّاد الأموات الذين اتخذوا من دون الله أولياء يستنصرون بهم، ويذبحون لهم، وينذرون لهم يستغيثون بهم من دون الله عز وجل .

وفي هذا المبحث سنبسط القول في الأمور التالية :

١ ـ خطورة ما وقعوا فيه من الشرك، والسر في أن الله لا يغفر للمشرك أبداً .
٢ ـ العبادات التي صرفوها لغير الله عند القبور .
٣ ـ دحض الشبهات التي تعلقوا بها .
٤ ـ السياج الذي أقامه الشارع المطهر حول القبور حماية لجناب التوحيد .
٥ ـ الحكمة من زيارة القبور في الشرع المطهر .
٦ ـ ما الذي أوقعهم في الافتتان بالقبور ؟
٧ ـ ثم تهاوى بيت العنكبوت الذي تعلقوا به .
٨ ـ وأخيراً مطابقة وجه الشبه بينهم وبين بيت العنكبوت .

فإلى البسط بعد الإجمال، والتفصيل بعد الاختصار .

ما وقع من الشرك في العبادة عند القبور

أمر الله ـ تبارك وتعالى ـ بعبادته وحده، وعدم اتخا الشركاء والأنداد في عبادته ـ سبحانه ـ فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾(٥).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنت رديف

---

(١) سورة البقرة، الآيتان ٢١، ٢٢ .
(٢) سورة البينة، الآية ٥ .
(٣) سورة الإسراء، الآية ٢٣ .
(٤) سورة النساء، الآية ٣٦ .
(٥) سورة الذاريات، الآية ٥٦ .

النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال : « يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً »[١] .

وفي الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : قلت : يا رسول الله، أيُّ الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك . . . »[٢] .

وعبادة الله : هي طاعته بامتثال ما أمر به على ألسنة رسله، قال شيخ الإسلام : (العبادة : هي اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)[٣] .

وأصل العبادة : هو التذلل والخضوع، كما أن أصل الإسلام : هو الاستسلام والانقياد .

فالجميع أسرى بلجام الشرع، ومقيدون بقيد الأمر والنهي، ولم يشذ عن ذلك إلا من انتكس وارتكس وفسق

---

١) متفق عليه، صحيح البخاري رقم (٥٩١٢) ج (٥) ص (٢٣١٢)، وصحيح مسلم رقم (٣٠) ج (١) ص (٥٨ .)
٢) متفق عليه، صحيح البخاري (٧٠٨٢)، وصحيح مسلم (٨٦) .
٣) مجموع الفتاوى ج (١٠) ص (١٥٠) .

وعصى وترك حبله للشيطان الرجيم يقوده إلى حنادس الشرك ومهاوي الردى، فلا تسل بعد ذلك في أي وادٍ هلك .

ومثل هذا لا يُرثى عليه ولا يُشفق لحاله وهو يسمع قول المعصوم صلى الله عليه وسلم : « **تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك** »[١]. وما الهلاك والشنار والبوار إلا في معصية الله ـ عز وجل ـ ومخالفة أوامر رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . إذْ هم المبلِغون عن الله ـ عز وجل ـ رسالاته إلى الناس، وأصلها عبادة الله وحده والكفر بما يُعبد من دونه، قال تعالى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾[٢].

ومن سبر أخبار الماضين وقصص الغابرين التي قصها الله في كتابه علم مقدار الخطر وعظم الجناية، ولذلك كثيراً ما تقرأ في القرآن الكريم قول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[٣]، ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[٤]. ﴿ فَهَلۡ مِن

---

(١) مستدرك الحاكم رقم (٣٣١) ج (١) ص (١٧٥)، وابن ماجة رقم (٤٣) ج (١) ص (١٦)، ومسند الإمام أحمد .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٦ .

(٣) سورة الرعد، الآية ١٩ .

(٤) سورة الحشر، الآية ٢ .

مُدَّكِرٍ ﴾[١]، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٢]، ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾[٣]. وأمثال هذا في القرآن الكريم كثير؛ ليتعظ ذاكي القلب، ويتدبر متوقد الذهن، ومن تدبر القرآن الكريم كله وجده يدور حول أمر توحيد العبادة لله وحده، فهو (إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله، فهو التوحيد العملي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يُعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته وأمره ونهيه، وهو حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد، وما فُعِل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فُعِل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم)[٤].

وعلى الرغم من كل ذلك، فقد اجترأ قطيع كبير من عُبَّاد القبور على خالص حق الله ـ تعالى ـ بالسماجة والقِحة،

---

١) سورة القمر، الآية ١٥ .

٢) سورة الشعراء، الآية ٨ .

٣) سورة ص، الآية ٢٩ .

٤) مدارج السالكين / ابن القيم ج (٣) ص (٤٥٠) .

فيما هو أوسع من فج البر، فوقعوا في الشرك الأكبر الموجب لهم الخلود في دركات الجحيم ـ عياذاً بالله من ذلك ـ فصرفوا كثيراً من العبادات المستحقة لله وحده لغير الله ـ عز وجل ومن هذه العبادات التي صرفوها لغير الله تعالى :

١ ـ الدعاء والاستغاثة

لا يتصور بحال أن هناك عبداً لا يطلب مولاه، ولا يتضرع إليه، ولا يتذلل بين يديه، ومثل هذا العبد على خطر عظيم قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2]، وقال تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾[4]، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى

---

(١) سورة غافر، الآية ٦٠ .
(٢) سورة الأعراف، الآية ١٨٠ .
(٣) سورة النمل، الآية ٦٢ .
(٤) سورة الرعد، الآية ٣٦ .

فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[1].

والدعاء عبادة عظيمة، لا يجوز صرفها ولا التوجه بها لا إلى فاطر السماوات والأرض، وانظر إلى فعل هؤلاء مقابرية وهم يتوجهون بهذه العبادة الجليلة إلى الأموات من صحاب القبور: كالبدوي والدسوقي والقناوي والجيلاني العيدروس وغيرهم من المقبورين في مشارق الأرض مغاربها، وقد نهى الله ـ جل وعلا ـ عن ذلك في محكم تنزيل فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2]، وأخبر ـ جل ذكره ـ أن هؤلاء مدعوين ما هم إلا خلق من خلق الله لا يملكون لأنفسهم لا لغيرهم ضراً ولا نفعا ولا رزقا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ

---

١) سورة البقرة، الآية ١٨٦ .

٢) سورة يونس، الايتان ١٠٦، ١٠٧ .

يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾[١]، فأي معن
لدعائهم بعد قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾
بل أي معنى للتوسل إليهم والاستغاثة بهم وقد أخبر ا
عنهم أنهم أموات، لا يسمعون الدعاء، ولا يملكون من ملك
الله شيئاً فقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا
يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ
بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾[٢].

فقد نفى ـ سبحانه ـ عنهم أنهم يسمعون دعاء من دعاهم
وأخبر أنه في حال كونهم يسمعون فإنهم لا يستطيعون الإجا
بحال من الأحوال، وقد قال سبحانه في موضع آخر م
كتابه : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ
كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ۚ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ ﴾[٣].

ويمتن الله ـ تبارك وتعالى ـ على عباده بأنه هو المنجي
وحده وقت الشدة والمحنة فيقول عز من قائل عليم : ﴿ قُ
مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان ١٩٤، ١٩٥ .
(٢) سورة فاطر، الآيتان ١٣، ١٤ .
(٣) سورة الرعد، الآية ١٤ .

نكونن من الشاكرين ﴿٦٣﴾ قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون ﴾[١]
يتضح هذا المشهد جلياً لمن ركب البحر حال هيجانه .

تبرؤ هؤلاء المقبورين ممن دعاهم يوم القيامة :

يوم القيامة وما أدراك ما يوم القيامة ؟ في هذا اليوم لشديد الكرب يتبرأ هذا المدعو ممن دعاه في وقت هو حوج ما يكون إليه قال تعالى يصف حالهم عندما يشاهدون عضهم بعضاً : ﴿ وإذا رءا الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون ﴿٨٦﴾ وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴿٨٧﴾ ﴾[٢]، ففي ذلك اليوم العظيم الذي تتضح فيه لحقائق، ويشاهدون الغيب حاضراً يتبرؤون منهم ويكذبونهم يقولون لهم : نحن ما أمرناكم بدعائنا ولا عبادتنا من دون لله، ويخبر الله عز وجل أنه ليس هناك أضل ممن كانت حاله بهذا، فقال تعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ﴿٥﴾ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴿٦﴾ ﴾[٣]، وقال : ﴿ واتخذوا من

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان ٦٣، ٦٤ .

(٢) سورة النحل، الآيتان ٨٦، ٨٧ .

(٣) سورة الأحقاف، الآيتان ٥، ٦ .

دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُو
عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾[١]، وقال الخليل عليه السلام: ﴿ ثُمَّ يَوْ
ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ﴾[٢].

والآيات في هذا المعنى كثيرة لمن كان له قلب أو ألق
السمع وهو شهيد، ولكن ألا ما أكثر العبر وما أقل الاعتبار!

٢ ـ الذبح

والذبح عبادة، وصرفه لغير الله شرك ينافي التوحيد قا
تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾
شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[٣]، والنسك: ه
الذبح. ومعنى هذه الآية الكريمة أن الله يأمر نبيه محم
صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء المشركين الذين يعبدو
غير الله ويذبحون لغير الله: إنني أخلصت لله صلاتي وذبحي
وما آتيه في حياتي وما أموت عليه من الإيمان والعمل
الصالح لله رب العالمين، لا شريك له في شيء من ذلك.
وبذلك الإخلاص أُمرت وأنا أول المسلمين من هذه الأمة.

---

(١) سورة مريم، الآيتان ٨١، ٨٢.
(٢) سورة العنكبوت، الآية ٢٥.
(٣) سورة الأنعام، الآيتان ١٦٢، ١٦٣.

وقال تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[(١)] أي : أخلص لله صلاتك وذبحك وخالف المشركين في ذلك .

وعن علي رضي الله عنه قال : « حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات : لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض »[(٢)]، ولعظم الذنب الذي ارتكبه من ذبح لغير الله وهو الشرك، فقد استحق اللعن من النبي صلى الله عليه وسلم : وهو الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى، وعن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « دخل الجنةَ رجلٌ في ذباب ودخل النارَ رجلٌ في ذباب، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يُقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما : قَرِّب، قال : ليس عندي شيئاً أقرب ! قالوا : قَرِّب ولو ذباباً، فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار، وقالوا للآخر : قرِّب، فقال : ما كنت لأقرب لأحدٍ شيئاً دون الله ـ عز وجل ـ فضربوا عنقه، فدخل الجنة »[(٣)].

---

(١) سورة الكوثر، الآية ٢ .

(٢) صحيح مسلم رقم (١٩٧٨) ج (٣) ص (١٥٦٧)، وصحيح ابن حبان، ومستدرك الحاكم، وسنن النسائي .

(٣) الكفاية في علم الرواية ج (١) ص (١٨٥) .

وسدّاً للوسائل المُفضية إلى الشرك الأكبر فقد نه
الشارع الحكيم عن الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله،
كان يُذبح فيه لغير الله، فعن ثابت بن الضحاك رضي الله ع
قال : «نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي صلى ا
عليه وسلم، فقال : هل كان فيها وثن من أوثان الجاهل
يُعبد، قالوا : لا، قال : فهل كان فيها عيد من أعيادهم
قالوا : لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوف
بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك اب
آدم »[1]، ويدل هذا النهي على أن من ذبح لله في مكان يُذب
فيه لغير الله كالقبور والأصنام وغيرها فقد ارتكب معصية م
المعاصي التي تستلزم التوبة منها . .

٣ ـ النذر

والنذر عبادة لا تجوز إلا لله، وصرفها لغير الله شر
ينافي التوحيد، والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَمَ
أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾[2]، فق

---

(١) سنن أبو داود رقم (٣٣١٣) ج (٣) ص (٢٣٨)، وسنن ابن ماج
(٢١٣٠) ج (١) ص (٦٨٨)، وسنن البيهقي الكبرى (١٩٩٢٦)
ومسند أحمد .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٧٠ .

خبر ـ سبحانه ـ أن ما أنفق العبد من نفقة أو نذر من نذرٍ
تقرب به إلى الله ـ تعالى ـ فإنه يعلمه، وسيجازيه عليه، فدل
لك علىَ أن النذر عبادة لا تجوز إلا لله، وصرفها لغير الله
ىرك، وقد مدح الله ـ تبارك وتعالى ـ الموفين بهذه العبادة
قال : ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾[١]، وفي الصحيح عن عائشة رضي
لله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من نذر
ن يُطيع الله فليُطعه، ومن نَذَر أن يعصيه فلا يعْصِه »[٢].

قال شيخ الإسلام : (فمن نذر لغير الله فهو مشرك
عظم من شرك الحلف بغير الله، وهو كالسجود لغير الله)[٣].

إذا عُلِمَ هذا، فكل هذه النذور الواقعة من عُبَّاد القبور
لى المقبورين تقرباً إليهم، واستشفاعاً بهم لقضاء الحاجات،
دفع البلاء، وجلب النعماء، والاستشفاء من الأدواء، كل
ذا من النذور المحرمة الباطلة، وهوشرك في العبادة بلا
يب، كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ
وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا

---

١) سورة الإنسان، الآية ٧ .
٢) صحيح البخاري رقم (٦٣١٨) ج (٦) ص (٢٤٦٣)، وصحيح ابن خزيمة (٢٢٤١) ج (٣) ص (٣٥٢) .
٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج (٣٣) ص (١٢٣) .

كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[١].

٤ ـ الاستعاذة

الاستعاذة : هي الالتجاء والاعتصام، وهي من أنواع العبادة التي لا تجوز إلا لله، وصرفها لغير الله شرك ينافي التوحيد، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾[٢].

فقد كان الرجل من العرب في الجاهلية إذا نزل أو أمسى بوادٍ خالٍ وخاف على نفسه قال : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد كبير الجن، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم زادوهم خوفاً وإرهاباً وذعراً .

ووجه الدلالة في الآية : أن الله تعالى حكى عن مؤمني الجن أنهم لما تبين لهم دين محمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ذكروا أشياء من الشرك كانوا يفعلونها في الجاهلية ومن جملتها الاستعاذة بغير الله، وقد أرشد رسول الله صلى

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٣٦ .

(٢) سورة الجن، الآية ٦ .

الله عليه وسلم المسلم إلى كيفية الاستعاذة المشروعة، فعن خولة بنت حكيم، قالت : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك »[١]. فالمشروع لأهل الإسلام الاستعاذة بالله وكلماته وهي عوضٌ عما كان يفعله أهل الجاهلية من الشرك .

تلكم كانت بعض العبادات الشركية والتي وقعت من بعضٍ ممن تخلى عن ولاية الله تعالى واتخذ من دونه أولياء يعبدهم ويتقرب إليهم ويستغيث بهم وينحر عندهم الذبائح ويسرج لهم السرج، وينذر لهم النذر، فما خطورة هذا الفعل الشركي ؟ وما السر في كون الله لا يغفر للمشرك أبداً ؟

١) صحيح مسلم رقم (٢٧٠٨) ج (٤) ص (٢٠٨٠)، صحيح ابن خزيمة رقم (٢٥٦٦) ج (٤) ص (١٥٠) .

خطورة الشرك
والسر في كون الله لا يغفرُ لصاحبه أبداً

الشِّركُ : هو جعل شريكٍ لله ـ تعالى ـ في ربوبيـ وإلهيته[١]، سواء كان هذا الشريك نبياً مُرسلاً، أو مَلَكـ مُقرباً، أو وليّاً صالحاً، أو قبراً، أو حجراً، أو شجراً .

والشِّرك هو أعظم الذنوب وأخطرها على الإطلاق، ويقـ أكثره في توحيد الألوهية، ومعناه : صرف شيءٍ من أنوا العبادة لغير الله، كَمَن يدعو غير الله، أو يقرب له ولو ذبابة أو ينذر له ولو بيضة، أو يخاف منه أن يناله بأدنى سوء، أ يرجوه في جلب نفع أو دفع ضر فيما لا يقدر عليه إلا الله، أ يحبه كحب الله، ويقع أكثره في هذا الزمان عند القبور .

خطورة الشرك :

١ ـ لا يغفر الله لصاحبه أبداً ما لم يتب منه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ

---

(١) كتاب التوحيد، الشيخ صالح الفوزان ص (٩) .

لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[١].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدواوين ثلاثة : فديوان لا يغفر الله منه شيئاً، وديوان لا يعبأ الله به، وديوان لا يترك الله منه شيئاً. فأما الديوان الذي لا يغفر الله منه شيئاً فالإشراك بالله عز وجل، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ . . . »[٣].

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « الظلم ثلاثة، ظلم لا يتركه الله، وظلم يغفر، وظلم لا يغفر، فأما الظلم الذي لا يغفر، فالشرك لا يغفره الله . . . »[٤] الحديث .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : حدثنا الصادق المصدوق

---

١) سورة النساء، الآية ٤٨ .

٢) سورة النساء، الآية ١١٦ .

٣) مستدرك الحاكم رقم (٨٧١٧) ج (٤) ص (٦١٩)، ومسند الإمام أحمد رقم (٢٦٠٧٣) ج (٦) ص (٢٤٠) .

٤) مسند الطيالسي رقم (٢١٠٩) ج (١) ص (٢٨٢)، ومصنف عبدالرزاق رقم (٢٠٢٧٦) ج (١١) ص (١٨٣) .

صلى الله عليه وسلم، فيما يَرْوِي عن ربه ـ تبارك وتعالى أنه قال : « الحسنة بعشر أمثالها أو أزيد، والسيئة واحدة أ أغفرها، ولو لقيتني بقراب الأض خطايا ما لم تُشرك بي لقيتك بِقُرابها مغفرة »[(١)] قال الحاكم : صحيح الإسناد .

وعن أبي ذر الغفاري أيضاً رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب، قِيلَ : يا سول الله، وما الحجاب ؟ قال : أ تموت النفس مُشركة »[(٢)]. وقال الحاكم: «صحيح الإسناد».

وفي المعجم الكبير للطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قال الله ـ عز وجل ـ من عَلِمَ أَنِّي ذُو قدرة على مغفر الذنوب، غفرت له ولا أُبالي ما لم يُشرِك بي »[(٣)].

قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (ويُعفى لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبوه بالشرك ما لا يُعفى لمر

---

(١) مستدرك الحاكم رقم (٧٦٠٥) ج (٤) ص (٢٦٩)، ومسند الإما أحمد أرقام (٢١٣٥٣)، (٢١٤٠٦)، (٢١٥٤٤) .

(٢) مستدرك الحاكم رقم (٧٦٦٠) ج (٤) ص (٢٨٦)، ومسند الإما أحمد رقم (٢١٥٦٢) ج (٥) ص (١٧٤) .

(٣) المعجم الكبير للطبراني رقم (١١٦١٥) ج (١١) ص (٢٤١) .

ليس كذلك، فلو لقى الموَحدّ الذي لم يشرك بالله شيئاً البتة ربه بقراب الأرض خطايا، أتاه بقرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده، فإن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب؛ لأنه يتضمن محبة الله وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجاءه وحده؛ ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت قراب الأرض، فالنجاسة عارضة، والدافع لها أقوى)[1].

٢ـ المشرك لا يدخل الجنة، ويُخلد في نار جهنم عياذاً بالله :

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٧٢ ﴾[2].

قال ابن كثير : (أي : فقد أوجب له النار وحرم عليه الجنة)، وفي الصحيح : أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بعث منادياً ينادي في الناس : أن الجنة لا يدخلها إلاَّ نفسٌ مسلمة، وفي لفظٍ : مؤمنَةٌ)[3].

وفي الصحيحين من حديث عبدالله رضي الله عنه : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات

---

١) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٧٠) .
٢) سورة المائدة، الآية ٧٢ .
٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج (٢) ص (١١١) .

يشرك بالله شيئاً دخل النار » وقلت : (أي الراوي) مر
مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة)(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : « يقول الله ـ تعالى ـ لأهون أهل النا
عذاباً : لو كانت لك الدنيا وما فيها، أكنت مفتدياً بها
فيقول : نعم . فيقول : قد أردت منك ما هو أهون من هذ
وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي ـ أحسبه قال : و
أدخلك النار ـ فأبيت إلا الشرك »(٢).

٣ ـ الشرك يحبط جميع الأعمال :

أي : يبطلها ويفسدها، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾(٣).

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ
أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾(٤).

---

(١) متفق عليه، البخاري رقم (١١٨١) ج (١) ص (٤١٧)، صحيح مسلم رقم (٩٢) ج (١١) ص (٩٤) من حديث ابن نمير وغيرهما .

(٢) متفق عليه، البخاري رقم (٣١٥٦) ج (٣) ص (١٢١٣)، صحيح مسلم رقم (٢٨٠٥) ج (٤) ص (٢١٦٠) .

(٣) سورة الأنعام، الآية ٨٨ .

(٤) سورة الزمر، الآية ٦٥ .

والخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم، وحاشاه أن يقع منه الشرك صلى الله عليه وسلم، قال الشوكاني : (هذا الكلام من باب التعريض لغير الرسل؛ لأن الله ـ سبحانه ـ قد عصمهم من الشرك؛ لأنه إن كان موجباً لإحباط عمل الأنبياء على الفرض والتقدير، فهو محبط لعمل غيرهم من أممهم بطريق أولى)[1].

٤ ـ الشرك أكبر الكبائر :

ففي الصحيحين من حديث أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أُنبِئُكُم بأكبر الكبائر » (ثلاثاً) ؟ قالوا : بلى يا رسول الله، قال : « الإشراك بالله وعقوق الوالدين . . . »[2] الحديث .

وفي الصحيحين أيضاً من حديث عبدالله أنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم : أيُّ الذنب أعظم عند الله ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك . . . »[3] الحديث .

---

١) فتح القدير، للشوكاني ج (٤) ص (٦٧٥) .
٢) متفق عليه، البخاري أرقام (٢٥١١) ج (٢) ص (٩٣٩) ورقم (٥٦٣١)، (٥٦٣٢)، ومسلم رقم (٨٧) ج (١) ص (٩١) .
٣) متفق عليه، صحيح البخاري رقم (٤٢٠٧) ج (٤) ص (١٦٢٦)، وصحيح مسلم رقم (٨٦) ج (١) ص (٩٠) .

وفي رواية : أيُّ الذنب أكبر ؟ قال : « **أن تجعل لله ند وهو خلقك** . . . » .

قال الإمام مسلم رحمه الله : (باب كون الشرك أقبح الذنوب)[١] ثم ساق أحاديث الباب .

فما السر في كون الشرك بهذه الخطورة ؟ :

المتأمل في النصوص السابقة بعين البصيرة يرى عجباً يرى إعذاراً، وإنذاراً، وتهديداً، ووعيداً لكل مشركٍ بالله جلَّ وعلا ـ بأن الأمر جدُّ خطير، وأخطر ما فيه هو خلود هذ المشرك ـ عياذاً بالله من ذلك ـ في نار جهنم كما توعده الله تبارك وتعالى ـ بهذا .

تلكم النار التي حرها شديد، وقعرها بعيد، دارٌ ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلُد فيها الأسير ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم، ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك، وم لهم منها فكاك . قد شُدَّت أقدامهم بالنواصي، واسودت وجوههم من ظلمة الشرك والمعاصي، ينادون من أكنافها يا مالك : قد حق علينا الوعيد، يا مالك : قد نضجت من

---

(١) انظر صحيح مسلم باب رقم (٣٧) ج (١) ص (٩٠) .

الجلود، يا مالك : أخرجنا منها فإنا لا نعود، فلا يجدون إلا : ﴿ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[1].

فيطول ندمهم، ويشتد أسفهم، ولا ينجيهم الندم، ولا يغنيهم الأسف، فيظلون في النار مغلولين، من فوقهم نار، ومن تحتهم نار، وعن أيمانهم نار، وعن شمائلهم نار، فهم غرقى في النار، وهم بين ذلك في مقطعات النيران، وسرابيل القطران، وضرب المقامع، وثقل السلاسل، تغلي بهم النار كغلي القدور، ويهتفون بالويل والثبور، يصب من فوق رؤوسهم الحميم، يصهر به ما في بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد، يهشم بها الجباه، فينفجر منها الصديد، وتتقطع الأكباد من العطش، وتسيل العيون على الحدق، وتسقط الوجنات من اللحوم، ويتمنون الموت فلا يموتون، في عذاب دائم متصل، لا يفتر عنهم وهم فيه خالدون . نسأل الله العفو والعافية والسلامة يا رب العالمين .

فما هو السبب الذي أردى بهذا العبد حتى جعله يلبث

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات ١٠٨ ـ ١١١ .

في هذا العذاب المقيم الدائم مئات الآلاف من السنين، بل يخلد فيه أبداً ؟

السبب : هو الشرك بالله ـ جلَّ جلاله ـ وجعل الند ل والمثيل ـ عياذاً بالله ـ .

وما هو السر الذي جعل هذا المشرك يخلد في النار، في مقابل عشر سنوات من المعصية، أو عشرين سنة، أو حتى مائتي سنة فَرَضاً ؟

السر في قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾(١) .

فكل ما في هذا الكون الفسيح خلقه الله ـ تبارك وتعالى من أجل ابن آدم، السماوات، والأرض، والشمس، والقمر والنجوم، والسحاب، والجبال، والوهاد، والبحار والأشجار، والنبات . . .

فالشمس للدفء والإضاءة، والقمر للحساب والإنارة والسحاب للزرع، والنبات للغذاء والكساء والدواء، والهوا والمعادن والسمك والطيور والحيوان حتى السباع والهوا والوحوش كل ذلك من أجل ابن آدم، فالكون كله (علوي

(١) سورة البقرة، الآية ٢٩ .

وسفليه) من أجل ابن آدم ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[١] .

وما الحكمة من خلق الإنسان ؟

الحكمة هي عبادة الله، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[٢]، وقوله : ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[٣]، وقوله : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[٤].

فالله ـ تبارك وتعالى ـ خلق الكون كله من أجل الإنسان، وخلق الإنسان من أجل أن يُفرِدَ الله ـ جل ثناؤه ـ وحده بالعبادة، فكأن الكون كله خُلِقَ من أجل أن يُعبَد الله وحده لا شريك له، فكل من أشرك مع الله ـ تبارك وتعالى ـ أحداً من مخلوقاته في ربوبيته أو في ألوهيته كان كمن نسف هذا الكون كله، وعارض الحكمة من وجوده ورفضها وأباها، فكانت عقوبته على قدر جنايته التي ارتكبها، وهي أن يمكث في النار خالداً مخلداً فيها، ولا يُعفى عنه أبداً لِعِظَم الجُرم الذي ارتكبه، ونحن نرى أن الرجل من أهل الدنيا إذا عظمت جريمته عُذِبَ وحكم عليه بالسجن المؤبد .

---

١) سورة البقرة، الآية ٢٩ .
٢) سورة الذاريات، الآية ٥٦ .
٣) سورة النحل، الآية ٣٦ .
٤) سورة الأنبياء، الآية ٢٥ .

سياج الشرع حول القبور

ولعظم الفتنة بالقبور أقام الشارع الحنيف سياجاً منيعاً من الأوامر والنواهي بخصوص القبور؛ صيانةً لأصل الملة وهو التوحيد، وحمايةً لكلمة « لا إلـه إلا الله » فمن هذه الأوامر :

١ـ تحريم بناء المساجد على القبور :

القبر والمسجد لا يجتمعان في دين الإسلام، واجتماعهما ينافي إخلاص التوحيد والعبادة لله تعالى قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾(١) .

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه : « **لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » قالت : فلولا ذاك أُبرِز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً (٢) .

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **قاتل الله اليهود؛ اتخذوا قبور أنبيائهم**

---

(١) سورة الجن، الآية ١٨ .
(٢) متفق عليه، صحيح البخاري رقم (١٢٦٥) ج (١) ص (٤٤٦)، صحيح مسلم رقم (٥٢٩) ج (١) ص (٣٧٦) .

مساجد »[١].

* وعن عائشة وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة جعل يُلقي على وجهه طرف خميصة له، فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه وهو يقول: « لعنة الله على اليهود والنصار؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » تقول عائشة: يُحذر مثل الذي صنعوا[٢].

* وعن جندب بن عبدالله البجلي أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: « ... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون من قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك »[٣].

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها: مارية، فذكرنَّ من حسنها وتصاويرها، قالت: فرفع النبي - صلى الله عليه وسلم - رأسه فقال: « أولئك

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري رقم (٤٢٦) ج (١) ص (١٦٨)، صحيح مسلم (٥٣٠) ج (١) ص (٣٧٦).

(٢) متفق عليه، البخاري رقم (٣٢٦٧) ج (٣) ص (١٢٧٣)، مسلم (٥٣١) ج (١) ص (٣٧٧).

(٣) صحيح مسلم رقم (٥٣٢) ج (١) ص (٣٧٧)، صحيح ابن حبان رقم (٦٤٢٥) ج (١٤) ص (٣٣٤).

إذاكان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صورو تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة »[(١)] .

* وعن عبدالله بن مسعود مرفوعاً: « إن من شرار الخلق مر تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد »[(٢)] .

وقد اتفقت المذاهب الأربعة على تحريم اتخاذ القبو مساجد، ومنهم من صرَّح بأنه كبيرة، وقد أطال فضيل الشيخ/ محمد بن ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ في نقل أقوالهم بالتفصيل في كتابه (تحذير الساجد من اتخاذ القبو مساجد) فليراجع .

ومن هذه النصوص السابقة يتضح لنا ما يلي :

١ ـ النهي عن اتخاذ المساجد على القبور .
٢ ـ لَعنْ من يفعل ذلك .
٣ ـ الإخبار بأنهم شرار الخلق عند الله .
٤ ـ مشابهتهم لفعل اليهود والنصارى .
٥ ـ إجماع العلماء على حرمة هذا الفعل .

---

(١) سنن البيهقي الكبرى رقم (٢/ ٧٠) ج (٤) ص (٨٠) وذكره ابز عبدالبر في التمهيد والاستذكار، والألباني في اتحاف الساجد .
(٢) صحيح ابن خزيمة رقم (٧٨٩) ج (٢) ص (٦)، صحيح ابز حبان رقم (٦٨٤٧) ج (١٥) ص (٢٦٠) .

ولا يجهل أحد أن الصلاة من أعظم القرب إلى الله تعالى، ولكن الشارع الحكيم ضرب بهذا السياج المحكم حول القبور سدّاً لذريعة الشرك، وهناك بعض الشبه التي يدندن حولها القبوريون وهي لا تساوي حكايتها أمام هذه الأحاديث المحكمة السابقة .

٢ـ تحريم شد الرحال إلى القبور واتخاذ الأعياد عندها :

* وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم »[(١)].

* وفي المسند من حديث أبي هريرة بلفظ : « لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وحيث ما كنتم فصلوا عليَّ؛ فإنَّ صلاتكم تبلغني »[(٢)].

* وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيدعو فنهاه فقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تتخذوا قبري

---

(١) أبو داود رقم (٢٠٤٢) ٢/ ٢١٨ .

(٢) مسند أحمد رقم (٨٧٩٠) ٢/ ٣٦٧، ومصنف أبي شيبة رقم (٧٥٤٣) ٢/ ١٥٠، ومصنف عبدالرزاق رقم (٦٧٢٦) ٣/ ٥٧٧ .

عيداً . . . »[١] الحديث .

* وفي مصنف عبدالرزاق أن الحسن بن الحسن بن علي رأى قوماً عند القبر فنهاهم، وقال : إن النبي ﷺ قال : « لا تتخذوا قبري عيداً . . . »[٢] الحديث .

٣ـ الأمر بتسوية القبور بالأرض وألاَّ ترفع إلا بمقدار الشبر :

* وعن ابي الهياج الأسدي قال : قال لي عليّ بن أبي طالب : (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدع تمثالاً إلاَّ طمسته ولا قبراً مشرفاً إلاَّ سويته)[٣] .

* وعن ثمامة بن شفي الهمداني، قال : كنا مع فضالة ابن عبيد بأرض الروم، فتُوفىِّ صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوى، ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها[٤] .

---

(١) مصنف عبدالرزاق رقم (٧٥٤٠٢) ٢/ ١٥٠، مسند أبي يعلى رقم (٤٦٩) ١/ ٣٦١ .
(٢) مصنف عبدالرزاق رقم (٦٧٢٦) ٣/ ٥٧٧ .
(٣) صحيح مسلم رقم (٩٦٩) ٢/ ٦٦٦، والمستدرك (١٣٦٧) ١/ ٥٢٤، وسنن النسائي رقم (٢٠٣١) ٤/ ٨٨ .
(٤) صحيح مسلم رقم (٩٦٨) ٢/ ٦٦٦، وأبو داود رقم (٣٢١٩) ٣/ ٢١٥ النسائي رقم(٢٠٣٠)٤/ ٨٨، والمعجم الكبير رقم(٨١١) ١٨/ ٣١٤ .

قال النووي ـ رحمه الله ـ : (السنة أن القبر لا يرفع على الأرض رفعاً كثيراً ولا يسنم بل يرفع نحو شبر ويسطح)[١] .

٤ ـ لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسُرج :

* عن ابن عباس رضي الله عنه قال : (لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)[٢] .

٥ ـ النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه والكتابة عليه :

* وعن جابر قال : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُجَصص القبر وأن يقعد عليه وأن يُبنى عليه)[٣] .

وعند الحاكم : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبور والكتابة فيها، والبناء عليها والجلوس عليها)[٤] .

---

(١) النووي/ ٧/ ٣٦ .

(٢) صحيح ابن حبان رقم (٣١٨٠) ٧/ ٤٥٣، المستدرك رقم (١٣٨٤) ١/ ٢٥٣٠، أبو داود رقم (٣٢٣٦) ٣/ ٢١٨، الترمذي رقم (٣٢٠) ٢/ ١٣٦، النسائي رقم (٢٠٤٣) ٤/ ٩٤، ومسند أحمد، والمعجم الكبير .

(٣) صحيح مسلم رقم (٩٧٠) ٢/ ٦٦٧، والنسائي رقم (٢٠٢٧) ٤/ ٢٨٦، ابن ماجه رقم (١٥٦٢)، (١٥٦٣)، (١٥٦٤) ١/ ٤٩٨، والمسند رقم (١٤٦٠٥) ٣/ ٣٣٢ .

(٤) مستدرك الحاكم رقم (١٣٧٠) ١/ ٥٢٥ .

دحض الشبه التي يتعلق بها عباد الأموات

الشبهة الأولى
شبهة النطق بـ « لا إلـه إلا الله »
والقول : بأنَّ النُطق بها كافٍ لدخول الجنة ولو فَعَلَ العبدُ ما فعل

ويدحض هذه الشبهة فضيلة الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان ـ حفظه الله ـ فيقول : (من الشبه التي يدلي بها عبَّاد القبور اليوم ظَنَّهم أن النطق بـ (لا إلـه إلا الله يكفي لدخول الجنة، ولو فعل الإنسان ما فعل، فإنه لا يكفر وهو يقول : لا إلـه إلا الله ، متمسكين بظواهر الأحاديث التي ورد فيها أن من نطق بالشهادتين حُرِّم على النار .

والجواب على هذه الشبهة : أن هذه الأحاديث ليست على إطلاقها، وإنما هي مقيدة بأحاديث أخرى، جاء فيها أنه لا بد لمن قال : لا إلـه إلا الله، أن يعتقد معناها بقلبه ويعمل بمقتضاها، فيكفر بما يُعبد من دون الله، كما في حديث عتبان : « فإن الله حرم على النار من قال : لا إلـه إلا الله يبتغي بذلك وجه الله »

وإلا فالمنافقون يقولون : لا إلـه إلا الله بألسنتهم، وهم في الدرك الأسفل من النار، ولم ينفعهم النطق بـ (لا إلـه إلا الله) لأنهم لا يعتقدون ما دلت عليه بقلوبهم .

وفي صحيح مسلم : « من قال : لا إلـه إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله » فعلق النبي ﷺ، حرمة المال والدم على أمرين : **الأول** قول : لا إلـه إلا الله، **والثاني** : الكفر بما يُعبد من دون الله، ولم يكتف بمجرد النطق بـ (لا إلـه إلا الله)، فدل على أن الذي يقول : لا إلـه إلا الله ولا يترك عبادة الموتى والتعلق بالأضرحة لا يَحْرُم ماله ودمه)[١] ا . هـ

الشبهة الثانية
شبهة الشفاعة

وهي قول عُبَّاد القبور : نحن لا نعتقد فيهم، ولكنَّ هؤلاء (أي : المقبورين) هم : أولياء الله الصالحين، وأهل البيت الطاهرين، ونحن لم نصل إلى المنزلة التي وصلوا إليها، فنحن نرغب إليهم في قضاء الحاجات، ونطلب منهم الشفاعات والوساطات، كما يشفع أهل الحاجات عند

---

١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان ص (٧٢) .

الملوك والرؤساء والوزراء والوجهاء .

والجواب عن هذه الشبهة : أن هذا هو عين ما قاله الكفار الأوائل حين أخبر الله تبارك وتعالى عنهم بقوله : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[1] ثم ردَّ الله ـ سبحانه ـ عليهم قولهم فقال : ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، ثم سمّى فعلهم هذا شركاً فقال : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

وقال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[2]. قال ابن كثير : (قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد ﴿ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ أي : ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة . . . وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه، ولا رضي به، بل أبغضه ونهى عنه)[3].

(١) سورة يونس، الآية ١٨ .
(٢) سورة الزمر، الآية ٣ .
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج (٤) ص (٥٩) .

فهذا هو قول الله ـ تعالى ـ الذي بعث به رسوله لتكون حججه بالغة وبراهينه دامغة؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة .

والشفاعة حقٌ لله ـ تعالى ـ فلا يشفع أحدٌ عنده إلا بإذنه وأمره .

قال تعالى : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[3] .

ففي هذه الآية الكريمة يتبين أن الشفاعة لا تنفع عند الله ـ جل ثناؤه ـ إلا بشرطين :

الأول : إذن الله للشافع؛ لأن الشفاعة ملكٌ لله ـ سبحانه وحده قال تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾[4] .

الثاني : أن يرضى الله ـ تبارك وتعالى ـ عن المشفوع فيه، ورضا الله لا يكون إلا لمن حقق التوحيد الخالص،

---

١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥ .
٢) سورة يونس، الآية ٣ .
٣) سورة النجم، الآية ٢٦ .
٤) سورة الزمر، الآية ٤٤ .

فالمشرك لا تنفعه شفاعة أحدٍ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1].

وبهذا يتبين بطلان ودحض هذه الشبهة التي يتشبث بها أصحاب القبور الذين يطلبون الشفاعة من الأموات، ويتقربون إليهم بأنواع القرب .

الشبهة الثالثة
شبهة وراثة الفعل عن الآباء والأجداد

وتلك شبهة مشتركة بين جميع طوائف المشركين على مختلف العصور والدهور، وهي الاحتجاج بفعل الآباء والأجداد، وهم لدى المشركين محل ثقة وعلى هدىً ورشاد بزعمهم، فهم ورثوا هذا الفعل خلفاً عن سلف؛ ليصدق عليهم قول الله ـ تبارك وتعالى ـ فيهم : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة المدثر، الآية ٤٨ .
(٢) سورة الأعراف، الآيات ١٧٢ ـ ١٧٤ .

ووراثة الفعل عن الآباء والأجداد والاقتداء بهم ينقسم إلى قسمين :

الأول : محمود، وهو ما كان على الحق والهدى، ومثاله : ما قاله تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام، أنه قال : ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾(١).

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾(٢).

والثاني : مذموم، وهو الاتباع والتقليد في الضلال الذي لا يجوز متابعتهم فيه والاقتداء بهم عليه، وهي شبهة متغلغلة في نفوس المشركين بالله ـ تعالى ـ في مقابلة دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقوم نوح لما قال لهم نوح : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾(٣).

فجعلوا ما كان عليه آباؤهم من الضلال والغي حجة

---

(١) سورة يوسف، الآية ٣٨ .
(٢) سورة الطور، الآية ٢١ .
(٣) سورة المؤمنون، الآية ٢٤ .

ودليلاً يعارضون ما جاءهم به نبي الله نوح عليه السلام من الحق والهدى .

وهؤلاء قوم صالح عليه السلام يقولون له : ﴿ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾[١] .

وقوم إبراهيم عليه السلام يقولون له : ﴿ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[٢] .

وعدو الله فرعون يقول لنبي الله موسى عليه السلام ﴿ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾[٣] .

ومشركو العرب يقولون لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾[٤] .

فمشركو بيت العنكبوت يقتفون خطى المشركين الأوائل في هذه الشبهة حذو القذة بالقذة في وراثة الفعل المذموم الذي من اتبعه ضلَّ وضلَّ فعله، ومن اتبع المحمود حُمِد وحُمِدَ فعله .

---

(١) سورة هود، الآية ٦٢ .
(٢) سورة الشعراء، الآية ٧٤ .
(٣) سورة طـه، الآية ٥١ .
(٤) سورة ص، الآية ٧ .

الشبهة الرابعة
شبهة الكثرة والقلة

وهو ما يزينه الشيطان لأهل القبور من الاغترار بكثرتهم، وأنه من غير المعقول أن تكون تلك الجموع المتحلقة حول بيوت العنكبوت في مشارق الأرض ومغاربها على الباطل، وأن المنكرين عليهم هم على الحق .

والجواب عن هذه الشبهة : أن الحق في الخلق عزيز، وأهل الحق هم الأقلون عدداً : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾(1).

قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾(2).

وقال تعالى : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(3).

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾(4).

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾(5).

---

(1) سورة الفتح، الآية ٢٣ .
(2) سورة يوسف، الآية ١٠٦ .
(3) سورة الأنعام، الآية ١١٦ .
(4) سورة المائدة، الآية ٤٩ .
(5) سورة هود، الآية ٤٠ .

وقال تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْ
فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾(١) .

والنبي ﷺ يقول: « ويأتي النبي ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، والنبي ومعه الرهط، والنبي وليس معه أحد »(٢) .

ويقول صلى الله عليه وسلم أيضاً : « بدأ الإسلام غريب وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء »(٣) .

والمشاهد يرى أن الإسلام اليوم في غاية الغربة، ولو كان أكثر الناس على الحق لما عاد المسلم غريباً في هذ الزمان وهو وسط أهله وعشيرته .

فالعاقل لا يغتر بالكثرة، ولا يستوحش من القلة، فهذ سنة الله في خلقه ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾(٤) .

الشبهة الخامسة
شبهة خفاء الحق

وهي ما يقوله المشركون من أهل القبور لمن أنكر عليهم : لو كان ما تدعون إليه حقّاً ما خفي على فلان وفلان

---

(١) سورة الذاريات، الآيتان ٣٥، ٣٦ .
(٢) صحيح البخاري رقم (٥٤٢٠)، ج (٥) ص (٢١٧٠) .
(٣) صحيح مسلم رقم (١٤٥)، (١٤٦) ج (١) ص (١٣١) .
(٤) سورة الأعراف، الآية ١٨٧ .

من مشايخنا في الطريقة .

والجواب عن هذه الشبهة : بأنها هي نفسها دعوى الكفار الأوائل فيما أخبر الله ـ تعالى ـ عنهم في قولهم : ﴿ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ﴾[١] .

وفي قوله سبحانه : ﴿ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴾[٢] .

ويقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : (اعرف الحق تعرف أهله) .

(١) سورة الأحقاف، الآية ١١ .
(٢) سورة الأنعام، الآية ٥٣ .

الحكمة من زيارة القبور
تذكر الموت والدار الآخرة

زيارة القبور جائزة في الجملة، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: استأذنت ربي أن أستغفر لها، فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور؛ فإنها تذكر الموت »[١].

وقد كانت زيارة القبور منهياً عنها في الجملة، ثم أُذن فيها لتذكر الموت والدار الآخرة، فعن بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها »[٢]، وفي رواية: « فمن أراد أن يَزُر فليزر، ولا تقولوا هجراً »[٣].

---

(١) صحيح مسلم رقم (٩٧٦) ج (٢) ص (٦٧١)، وصحيح ابن حبان رقم (٣١٦٩) ج (٧) ص (٤٤٠) .

(٢) صحيح مسلم رقم (٩٧٧) ج (٢) ص (٦٧٢)، وصحيح ابن حبان (٩٨١) ج (٣) ص (٢٦١) وغيره .

(٣) مستدرك الحاكم رقم (١٣٩٣) ج (١) ص (٥٣٢)، وسنن النسائي=

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ؛ فإنها تذكركم الآخرة »[١] .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قبور أهل البقيع والشهداء للدعاء لهم والاستغفار[٢] .

فزيارة القبور الحكمة منها تذكُّر الموت والدار الآخرة .

المشروع عند زيارة القبور

قبر المسلم له من الحرمة ما جاءت به السنة، إذْ هو بيت المسلم الميت، فلا يترك عليه شيء من النجاسات بالاتفاق، ولا يوطأ، ولا يُداس، ولا يتكأ عليه، وعند جمهور العلماء ولا يجاور بمن يؤذي الأموات من الأقوال والأفعال الخبيثة، ويستحب عند إتيانه السلام على صاحبه، والدعاء له، وكلما كان الميت أفضل، كان ذلك في حقه أوكد .

= رقم (٢٠٣٣)، السنن الكبرى، ومسند أحمد .

(١) مسند الإمام أحمد رقم (١٢٣٥)، وأبو يعلى رقم (٢٧٨) ج (١) ص (٢٤٠) .

(٢) انظر صحيح مسلم رقم (٩٧٤) ج (٢) ص (٦٦٩)، وابن حبان، ومستدرك الحاكم، ومسند أحمد .

قال بريدة بن الحصيب رضي الله عنه : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر : أن يقول قائلهم : السلام على أهل الديار ـ وفي لفظ : السلام عليكم أهل الديار ـ من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية »[١].

ورُوي أيضاً عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون »[٢].

وروي أيضاً عن عائشة رضي الله عنها في حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن جبريل أتاني . فقال : إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع، فتستغفر لهم، قالت : قلت : كيف أقول يا رسول الله ؟ قال : قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون »[٣].

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٤٩) ج (١) ص (٢١٨)، (٩٧٤) ج (٢) ص (٦٦٩)، وابن خزيمة، وابن حبان، وأبو داود، وسنن النسائي، والبيهقي، وأحمد .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « فقدته فإذا هو بالبقيع . فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم لنا فرط، ونحن بكم لا حقون، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم »[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة، فأقبل عليهم بوجهه، فقال : السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا، ونحن بالأثر »[٢].

وروى أبو داود عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، وقال : استغفروا لأخيكم، وسلوا الله له التثبيت؛ فإنه الآن يُسأل »[٣].

وقد روي حديث صححه ابن عبدالبر : أنه ﷺ قال : « ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه؛ حتى يرد عليه السلام »

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) مستدرك الحاكم رقم (١٣٧٢) ج (١) ص (٥٢٦)، وأبو داود رقم (٣٢٢١) ج (٣) ص (٢١٥) .

فهذا ونحوه مما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله، ويأمر به أمته عند قبور المسلمين عقب الدفن، وعند زيارتهم، أو المرور بهم : إنما هو تحية للميت كما يُحيَّى الحي، ويُدعى له، كما يُدعى له إذا صُلي عليه قبل الدفن أو بعده . وفي ضمن الدعاء للميت دعاء الحي لنفسه ولسائر المسلمين، كما أن الصلاة على الجنازة فيها الدعاء للمصلي ولسائر المسلمين، وتخصيص الميت بالدعاء له .

فهذا كله وما كان مثله من سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما كان عليه السابقون .

فأين هذا مما يفعله الآن عباد القبور ؟!

ما الذي أوقع عباد القبور في الافتتان بها ؟!

هذا الاستفهام طرحه ابن القيم رحمه الله فقال : (ما الذي أوقع عباد القبور في الافتتان بها، مع العلم بأن ساكنيها أموات، لا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ؟ .

قيل : أوقعهم في ذلك أمور :

منها : الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله، بل جميع الرسل من تحقيق التوحيد، وقطع أسباب الشرك، فَقَلَّ نصيبهم جداً من ذلك؛ ودعاهم الشيطان إلى الفتنة، ولم يكن عندهم من العلم ما يبطل دعوته، فاستجابوا له بحسب ماعندهم من الجهل، وعُصموا بقدر ما معهم من العلم .

ومنها : أحاديث مكذوبة مختلقة، وضعها أشباه عباد الأصنام من المقابرية على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تناقض دينه، وما جاء به كحديث : « إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور »(١) . وحديث : « لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه »(٢)، وأمثال هذه الأحاديث التي هي

---

(١) باطل . ولا أصل له .

(٢) موضوع . انظر : كشف الخفاء (٢/ ١٥٢)، المقاصد الحسنة =

مناقضة لدين الإسلام . وضعها المشركون، وراجت علي
أشباههم من الجهال الضلال . والله بعث رسوله بقتل م
حسن ظنه بالأحجار، وجنَّب أمته الفتنة بالقبور بكل طريق .

ومنها : حكايات حُكيت لهم عن تلك القبور : أنَّ فلا
استغاث بالقبر الفلاني في شدة فخلص منها . وفلاناً دعاه أ
دعا به في حاجة، فقضيت له . وفلاناً نزل به ضر فاسترج
صَاحب ذلك القبر، فكشف ضره . وعند السدنة والمقابرة م
ذلك شيء كثير يطول في ذكره . وهم من أكذب خلق الله تعالي
على الأحياء والأموات . والنفوس مولعة بقضاء حوائجها
وإزالة ضرورتها، ويسمع بأن قبر فلان ترياق مجرب . والشيطا
له تلطف في الدعوة، فيدعوهم أولاً إلى الدعاء عنده، فيدع
العبد عنده بحرقة وانكسار وذلة، فيجيب الله دعوته لما قام بقلبه
لا لأجل القبر . فإنه لو دعاه كذلك في الحانة والخمارة والحما
والسوق أجابه، فيظن الجاهل أن للقبر تأثيراً في إجابة تلك
الدعوة . والله سبحانه وتعالى يجيب دعوة المضطر، ولو كا
كافراً . وقد قال تعالى : ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ
وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾[1]، وقد قال الخليل : ﴿ وَٱرْزُ

= (٨٨٣)، تمييز الطيب (١٠٨٣) .

(١) سورة الإسراء، الآية ٢٠ .

أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾[1]، فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ .

فليس كل من أجاب الله دعاءه يكون راضياً عنه، ولا محباً له، ولا راضياً بفعله، فإنه يجيب البر والفاجر، والمؤمن والكافر، وكثير من الناس يدعو دعاءً يعتدي به، أو يشترط في دعائه، أو يكون مما لا يجوز أن يسأل، فيحصل له ذلك أو بعضه . فيظن أن عمله صالح مرضي لله، ويكون بمنزلة من أملى له وأمده بالمال والبنين، وهو يظن أن الله تعالى يسارع له في الخيرات . وقد قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[2] .

فالدعاء قد يكون عبادة، فيُثاب عليه الداعي، وقد يكون مسألة تُقضى به حاجته، ويكون مضرة عليه، إما أن يعاقب بما يحصل له، أو تنقص به درجته، فيقضي حاجته ويعاقبه على ما تجرأ عليه من إضاعة حقوقه واعتداء حدوده)[3] .

---

1) سورة البقرة، الآية ١٢٦ .
2) سورة الأنعام، الآية ٤٤ .
3) إغاثة اللهفان / لابن القيم ص (٢٢٠ ـ ٢٢١) .

ألا في الفتنة سقطوا

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ : (نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاث وثلاثين موضعاً من كتاب الله، ثم جعل يتلو قوله تعالى ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] وجعل يكررها ويقول : أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك، لعله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه)[2].

وقد أطبقت فتنة الشرك بسدنة القباب والمشاهد وأصحاب الزلفى إلى الأموات من أهل دار البرزخ نتيجة عد اعتصامهم بسنة أمين السماء والأرض وإطراحهم لأوامر خلفهم ظهرياً، وإذا كان قبره صلى الله عليه وسلم أفضل قب على وجه الأرض ومع ذلك فقد نهى صلى الله عليه وسلم أ يتخذ مسجداً وأن يتخذ عيداً فيما مر بنا من الأدلة، فقل لي بربك ـ أي قبر أولى بالنهي من قبره صلى الله عليه وسل

---

(١) سورة النور، الآية ٦٣ .

(٢) الإبانة / لابن بطة العكبري ج (١) ص (٢٦٠) .

كائناً من كان ؟!! ولقد نهى أفضل التابعين من أهل بيته : علي بن الحسين رضي الله عنه الرجل الذي وجده يتحرى الدعاء عند قبره صلى الله عليه وسلم، واستدل بالحديث وهو روايه وقد سمعه من أبيه الحسين عن جده علي - رضي الله عنهم أجمعين - وهو أعلم بمعناه من غيره .

وكذلك كره ابن عمه حسن بن الحسن وهو شيخ أهل بيته أن يقصد القبر للسلام ونحوه غير دخول المسجد، ورأى أن ذلك من اتخاذه عيداً .

وهذا من عظم فقه الرعيل الأول لمدى الخطر المحدق بمن يخالف أمر النبي صلى الله عليه وسلم فهذا صدِّيق الأمة الأكبر - رضي الله عنه - يقول : (لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به وإني لأخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ) .

وعن حجير بن أبي الربيع، أنه سمع عمران بن حصين يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحياء خير كله »، فقال بشير بن كعب : (إن منه ضعفاً ومنه وقاراً لله) . فقال عمران : أبا حجين ! مَنْ هذا ؟! قلت : رجل ليس به بأس، فقال : سمعني أُحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول : (منه ضعف ومنه وقار، والله لا

أحدثكم بحديث اليوم) .

ويقطع الصحابي الجليل عبدالله بن مغفل رضي الله ع
رَحمَهُ، ويهجر حميمه حين يعارضه في حديث رسول ا
صلى الله عليه وسلم، فقد روى رضي الله عنه فقال : نه
النبي صلى الله عليه وسلم عن الخذف وقال : « إنها
تصطاد صيداً ولا تنكأ عدواً، ولكنها تفقأ العين وتكس
السن »، فقال الرجل لعبدالله بن مغفل : (وما بأس هذا ؟
فقال عبدالله بن مغفل : (إني أُحدثك عن رسول الله صل
الله عليه وسلم وتقول هذا، والله لا أُكلمك أبداً) .

ويجيء رجل إلى مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ فيقول له
أُحرم من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أو من ذ
الحليفة ؟ فيجيبه مالك : بل من ذي الحليفة، فيقو
الرجل : فإني أحرمت من مسجد رسول الله صلى الله عل
وسلم، فيرد عليه مالك بقول الله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِي
يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١) .

وأبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول لمن يعارضه ف
حديث النبي صلى الله عليه وسلم : (أتسمعني أُحدث ع
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تبيعوا الدينا

---

(١) سورة النور، الآية ٦٣ .

بالدينار والدرهم بالدهم إلاً مثلاً بمثل، ولا تبيعوا منها عاجلاً بآجل، ثم أنت تفتي بما تفتي، والله لا يؤويني وإياك ما عشت إلا المسجد) .

فيا ليت شعري كيف استساغت عقول هؤلاء القبوريين، وطابت نفوسهم في مخالفة أوامر النبي صلى الله عليه وسلم صراحاً قراحاً، وتبديل مناهيه بأضدادها عياناً بياناً، من النهي من البناء على القبور، وتجصيصها، وفرشها بأنواع البسط والفرش والستور، وإيقاد الشموع عليها، واتخاذها أعياداً ومساجد تُسكب عندها العبرات، وتُطلب منها الحاجات، ويُقام حولها أنواع الموبقات من التضرع للقبور، والرقص واللهو حولها، وإبداء الفاقة والافتقار، واقتراف أنواع من الفسق والفجور، والهتف والتملق والتأدب مع الرمم، والحكم لها بالنفع والضر !! ليقعوا في مستنقع الشرك الكدر وليحيط بهم قول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[1] .

ولا يتملَّك العاقل كثير العجب لِمَا أصابهم من ظلمة القلوب والوجوه، وموات العقول والأرواح حينما يقرأ قول

---

(١) سورة النساء، الآية ١١٥ .

الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(١)، وقوله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٢)، وقوله ـ سبحانه ـ : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾(٣)، وقوله عز وجل ـ : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾(٤)، وقوله ـ تبارك اسمه ـ : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾(٥).

يقول الإمام ابن بطة العكبري ـ رحمه الله ـ : (إذا سمع أحدكم حديثاً سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رو العلماء واحتج به الأئمة العقلاء فلا يعارضه برأي وهو نفسه فيصيبه ما توعده الله ـ عز وجل ـ به؛ فإنه قال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٦) هل تدري ما الفتنة ها هنا ؟ هي ـ والله

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٢٤ .
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٣٢ .
(٣) سورة النور، الآية ٥٤ .
(٤) سورة المائدة، الآية ٩٢ .
(٥) سورة آل عمران، الآية ٣٢ .
(٦) سورة النور، الآية ٦٣ .

الشرك بالله العظيم، والكفر بعد الإيمان، فإن الله ـ عز وجل ـ قال : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[١] أي : لا يكون شرك، وقال تعالى : ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾[٢] أي : أن الشرك بالله أشد من قتلكم لهم)[٣] ا . هـ .

١) سورة البقرة، الآية ١٩٣ .

٢) سورة البقرة، الآية ١٩١ .

٣) هذه النقولات عن كتاب (الإبانة في معتقد الفرقة الناجية) لابن بطة الكبري، كتاب الإيمان .

تهاوي بيت العنكبوت

قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ﴾[1] .

أغْلَقَتْ هذه الآية الكريمة على أصحاب بيت العنكبوت مجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك في دعائهم الأموات وتعلقهم بها، وسدت في وجوههم كل باب بأبلغ سدٍّ وأحكمه من أربعة وجوه، لأن الداعي لا يتعلق بالمدعو إلا لرجاء نفعٍ أو كشف ضُرٍ يرجوه منه، وإلا لو كان لا يرجو منه منفعةً على كل حال لما تعلق قلبه به رهبةً وخوفاً ورجاءً، وإليك بيان هذه الطرق الأربعة :

الأول : أن يكون المدعو يملك أسباب الضر والنفع التي ينفع بها داعيه وقد قطع الله ـ تبارك وتعالى ـ هذا الطريق عليهم، وأخبر سبحانه أن هؤلاء المدعوين من دون الله ﴿ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ فالملك كله لله يتصرف فيه كيف يشاء .

(١) سورة سبأ، الآيتان ٢٢، ٢٣ .

الثاني : أن يكون المدعو شريكاً للمالك، وحينئذٍ ينفع داعيه بمقدار ما يملك من الشراكة، وقد نفى الله ـ تبارك وتعالى ـ ذلك أيضاً بقوله : ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾ .

الثالث : أن يكون المدعو ظهيراً ومعاوناً للمالك يساعده في عمله، فينفع داعيه بما يملك من مكانةٍ في عمله وبحكم موقعه، وهنا ينفي الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يكون له معاون في ملكه بقوله : ﴿ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

الرابعة : والتي يبقى أن يكون المدعو وجيهاً عند المالك وذا حظوةٍ لديه، يستطيع أن يشفع بها عنده للداعي، وهنا يخبر ـ سبحانه ـ بأنه ﴿ لَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾[1] .

فلا شفاعة إلا بما فصلنّا فيه القول سابقاً .

فأي حبل يتدلى منه هؤلاء ؟ وأي دليل يتمسكون به ؟! وأي حُجةٍ يتبجحون بها في مصادمة نصوص الكتاب والسنة ؟!

فالله ـ تبارك وتعالى ـ هو مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء، وهو ـ سبحانه ـ الغني بذاته عن كل ما سواه، فلا شريك له، ولا ظهير معه، ولا يشفع أحد عنده إلا بشـ[illegible] وحدود حدها سبحانه . فهل لهؤلاء

---

١٠٩ .

المقبورين شيءٌ من هذه الأمور ؟

بل إن الله ـ تبارك وتعالى ـ يطالبهم في غير ما موضع من كتابه العزيز أن يأتوا بالدليل السمعي والعقلي الذي يثبتون به صحة عملهم هذا إن كانوا صادقين فقال ـ تعالى ـ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٤ ﴾[1].

(١) سورة الأحقاف، الآية ٤ .

تطابق وجه الشبه كاملاً بين بيت العنكبوت وعُبَّادِ القبور

ويتطابق وجه الشبه كاملاً بنقاطه الثلاث بين ركني التشبيه وهو بيت العنكبوت من جهة، وعُبَّاد الأموات الذين علَّقوا ولايتهم بالأموات من دون الله من جهةٍ أخرى :

ففي الأولى : وهي الضعف والوهن، فإن هؤلاء قد علَّقوا ولايتهم بخلق ضعفاء لا يملكون لأنفهسم ضرّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، وتركوا ولاية الله ـ عز وجل ـ الذي له الحمد كله، وله الخلق كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرجع الأمر كله، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى، ولا مُعطي لما منع .

الثاني : هو كون المشبه به وهو بيت العنكبوت لا يعدو أن يكون فخّاً وشَرَكاً منصوباً لأية دويبة أو حشرة تمر عليه، فهو كذلك مع أصحاب القبور والتي لا تعدو كونها فخّاً وشَرَكاً نصبه الشيطان لطائفة من دواب البشر الذين لا عقول لهم، ولا أفهام، فما عبدَ أحدٌ من بني آدم غير الله ـ عز وجل ـ إلا وقعت عبادته للشيطان، فيستمتع العابد بالمعبود

في حصول غرضه، ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه وإشراكه مع الله قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾[2]، وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾[3].
وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[4]، ورحم الله الشيخ حافظ الحكمي وهو يقول عن فعل عُبَّاد القبور :

والتمسوا الحاجات من موتاهم
واتخذوا إلههم هواهم

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٢٨ .
(٢) سورة سبأ، الآيتان ٤٠، ٤١ .
(٣) سورة الفرقان، الآيتان ١٧، ١٨ .
(٤) سورة البقرة، الآية ٦٠ .

قد صادهم إبليس في فخاخه

بل بعضهم قد صار من أفراخه

الثالث : وهو كون المشبه وهو بيت العنكبوت لا يعدو إلا أن يكون أماناً كاذباً لا يتحقق فيه أي نوع من أنواع الأمن الحسي ولا المعنوي، فكذلك الحال مع المشبه به وهم طائفة عُبّاد القبور . ففي الأمان المعنوي لا يتحقق لهم أي نوع من الأمان والاطمئنان أبداً جزاء شركهم يقول تعالى : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾[1] .

وأما الأمان الحسي فقد اتخذ أسلافهم من قبل وسائط لهم يدعونهم من دون الله وظنوا أن هذا هو لب التوحيد، فماذا كان ؟

كانت إبادتهم من حيث ظنوا هذا الأمان ولنقف على بعض أمثلتهم :

أ ـ قوم نوح : يقولون وهم في غاية الأمن والطمأنينة لنبيهم : ﴿ مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾[2] فما كان جزاؤهم ؟ : ﴿ فَدَعَا

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥١ .

(٢) سورة القمر، الآية ٩ .

رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾[1].

ب ـ قوم عاد : بلغ بهم الاطمئنان أنهم حينما رأوا سحاب العذاب مقبلاً عليهم قالوا : ﴿ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[2].

ج ـ قوم ثمود : بلغت بهم القحة من الاطمئنان أن قالوا لنبيهم : ﴿ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[3] فما الذي حدث ؟ : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾[4].

د ـ قوم فرعون : يقولون لعدو الله فرعون : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ ﴾[5]، فكان عاقبتهما جميعاً ما قاله تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ

---

(١) سورة القمر، الآيات ١٠ ـ ١٤ .
(٢) سورة الأحقاف، الآيتان ٢٤، ٢٥ .
(٣) سورة الأعراف، الآية ٧٧ .
(٤) سورة الأعراف، الآية ٧٨ .
(٥) سورة الأعراف، الآية ١٢٧ .

﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[١].

إنها النهاية الأليمة التي وقعت لذكر العنكبوت، الهلاك والإبادة وقطع الدابر من حيث ظن هذا الأمان، وإن كان ذكر العنكبوت قد ذهب وانقضى أمره لسقوط التكليف عنه، فإنَّ هؤلاء لن ينقضي أمرهم بما ينتظرهم حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[٢].

---

(١) سورة القصص، الآية ٤٠ .

(٢) سورة النحل، الآيتان ٨٦، ٨٧ .

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ
وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ : (أي : ما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون به)[١].

ويقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ : (هذا مدح للأمثال، التي يضربها، وحث على تدبرها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعُلِمَ أن من لم يعقلها، ليس من العالمين، والسبب في ذلك : أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن، إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة)[٢].

والأمثال التي ضربها الله ـ تعالى ـ في كتابه أمرها عظيم، فهي تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة، وقد أكثر الله ـ تبارك وتعالى ـ من ضربها في كتابه الكريم، بل بدأ بها في أول سورة من سوره بعد فاتحة الكتاب، بل في أول صفحة من صفحاته بعد مقدمة السورة؛ لأن أكثر ما يضرب

---

(١) ابن كثير ج (٣) ص (٥٤٨) .
(٢) تيسير الكريم المنان .

الله الأمثال فيه أصل الدين، وهو تقرير أمر التوحيد والعقيدة، كما قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(١) .

أي : إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه شريكه في رزقه، فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أنا منفرد به وهو الإلهية، التي لا تنبغي لغيري، ولا تصح لسواي ؟

فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري، ولا عظّمني حق تعظيمي، ولا أفردني بما هو حق لي وحدي دون خلقي .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) ﴾(٢) .

فما قدر الله حق قدره ـ سبحانه ـ، ولا عظمه حق التعظيم، من صرف شيئاً من أنواع العبادة التي لا تجوز إلا لله لمخلوق مثله، لا يقدر على خلق أضعف وأقل وأحقر حشرة على الأرض وهي الذباب، بل إن سلبه الذباب شيئاً لا

---

(١) سورة الرم، الآية ٢٨ .
(٢) سورة الحج، الآيتان ٧٣، ٧٤ .

يستطيع إنقاذه منه ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾

ويشتد الأسى حين تقرأ قول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَلَقَ
ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[١]، وقو
تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْ
ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾[٢]، وقوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾[٣]

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن
مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾[٤]

كم هي الأمثال التي ضربها الله ـ تبارك وتعالى ـ ف
كتابه؛ لتقرير أمر العقيدة والتوحيد، وتوضيح هذا الحق
وتقريبه إلى الأفهام والعقول، وتبيانه للناس بالحج
والبراهين والأدلة القاطعة !

ومع كثرة هذه الأمثال وتلك الأدلة، إلا أن أكثر النا
أبى إلا المجادلة والمعاندة وجحود الحق والكفر بآيات الله
وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِي

---

(١) سورة الزمر، الآية ٢٧ .
(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٩ .
(٣) سورة الكهف، الآية ٥٤ .
(٤) سورة الروم، الآية ٥٨ .

كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾ أي : لو جئتهم بآية بينة
اضحة، كإنشقاق القمر مثلا، لقالوا هذا باطل وسحر .

إذا تقرر هذا فاعلم يا رعاك الله :

أن ما ذُكِرَ من هذه الآيات الكريمات عظة لمن عمَّه داء
بادة المقابر ممن قال : إنني من المسلمين، فليتفقد العبد
فسه، وليحذر من كيد عدوه، وليسأل نفسه بهذه الأسئلة :

الأول : ما هو الشرك الذي استعظمه الله في كتابه وأخبر
نه لا يغفر لصاحبه أبداً ؟ وهل يقع على الأصنام فقط أم كل
ا عُبِدَ من دون الله ؟

الثاني : مما تبرأ إبراهيم عليه السلام؟ وما الذي
ستنكره على قومه ؟

الثالث : لماذا قصَّ الله علينا من أنباء من قد سبق ونعى
فعالهم، وجعلها آيات تتلى، وبثها في العالمين، وكررها
ي كتابه الحكيم ؟

وليتذكر القارىء الكريم وهو يجيب على هذه الأسئلة أن
لشيطان الذي أضل السابقين، وأوقعهم في الشرك الوبيل،
م ولن يسالمه، ولم تضع أوزاره بينه وبين أمة محمد صلى
لله عليه وسلم، وإن أُمة محمد صلى الله عليه وسلم : لم
تغير سنن الله فيها . ولا طبائع البشرية المعرضة للغفلة

والنسيان، والجهل والكفر والفسوق والعصيان .

وإلى أن تنجلي الغشاوة وتتضح الحقيقة سنظل نقرأ قو
الحق تبارك وتعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّ
أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْ
ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِ
دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَ
لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محم
وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه
الفقير إلى رحمة ربه
خليل بن إبراهيم أمين

EM: Kaaa5@Hotmail.com
المملكة العربية السعودية
ص.ب ٣٨٠٩٨٠ الرياض ١١٣٤٥

الفهرس